

الانفجار المعرفي كأحد تحديات النظام التربوي في الجزائر والوطن العربي

Global knowledge explosion as one of the challenges of the educational system

أ. رشيد زوز وأ. عبد الحميد لحر

جامعة محمد خيضر ببسكرة

Abstract:

The strained relationship between the cognitive and organizational disciplines of educational systems and those affiliated with this system has become tenser because of the phenomenon of the influx and explosion of information in the countries that generate them and have the ability to exploit them. This has led to confusion in the countries that receive them and consume them by losing their ability to choose, In the same time watching the flow of information without being able to catch up to contribute to its generation, creating a widening gap every day between countries that create information and benefit from it accurately and effectively and between countries that consume information with skills And the difference in information between the States of the Center and the States Parties.

From this framework, the intervention attempts to raise the issue of the front, which is opened by the knowledge explosion in the world, as a challenge to the deliberate action to survive, in which a possible adoption strategy is raised within the limits of existing resources and possibilities, but it remains a limited intervention. The people of thought, guardianship and educational decision makers for responsible intervention in the appropriate circumstances

الملخص:

إن العلاقة المتوترة عادة بين الضوابط المعرفية والتنظيمية للأنظمة التربوية وبين المنتسبين لهذه المنظومة، ازدادت توترا نتيجة لظاهرة فيض وانفجار المعلومات في الدول التي تولدها وتملك القدرة على استغلالها مما ولد حيرة لدى الدول التي تستقبلها وتستهلكها وذلك بفقدان القدرة على الاختيار والترجيح والمتابعة وجعلها تلهث خلف محاولة الاستفادة والمراقبة في نفس الوقت للتدفق الاضطراري للمعلومات دون أن نتمكن من اللحاق للمساهمة في توليدها، مما خلق هوة تزداد اتساعا كل يوم بين دول تبتكر المعلومات وتستفيد منها بدقة وفعالية وبين دول تستهلك المعلومات بمهارات محدودة وما يفرق بفجوة المعلومات بين دول المركز ودول الأطراف.

من هذا الإطار تحاول المداخلة إثارة قضية الجبهة التي يفتحها الانفجار المعرفي في العالم علة النظام التربوي الجزائري، بوصفها تحدي يستوجب التحرك المدرّوس من أجل البقاء، وفيها يتم إثارة استراتيجية ممكنة التبنّي في حدود ما قائم من موارد وإمكانيات، لكنها تظل مداخلية محدودة، فحسبها أن تستنفر أهل الفكر والوصاية وصانعي القرار التربوي للتدخل المسئول في الظروف المناسبة

مقدمة:

يشهد المجتمع الإنساني المعاصر تحولات جذرية وعميقة مست كافة نظمته وأنساقه وبصورة لم يعهدها من قبل، ويمر بمرحلة مليئة بالإنجازات العلمية والتكنولوجية والثقافية والمعرفية متجها نحو مجتمع جديد وصف بمجتمع ما بعد الصناعة أو ما بعد الحداثة أو مجتمع المعلومات.

ولأن النسق التربوي واحد من تلك الأنساق التي مستها التحولات بات من الضروري إيجاد علاقة جديدة بين التربية - بمفهومها الواسع ^(*) - والمجتمع حتى تستجيب لقضاياه وتحقق وظيفتها اتجاهه. وإذا كان العالم المتقدم بشكل عام قد ولج هذه الألفية الثالثة برسم نظام عالمي جديد يحمل في بعده التربوي توجهها ورؤية جديدة لنظام تربوي يتماشى وعصر المعلومات فإن مجتمعاتنا العربية ما تزال حبيسة تربية تقليدية قوامها الحفظ والتلقين.

لقد تميز عصر المعلومات هذا بانفجار معرفي لكنه حمل في طياته إيديولوجية مضمرة وثقافة ظاهرها علم وتكنولوجيا وباطنها هيمنة وفقدان هوية مما أحدث حيرة لدى المجتمعات الإنسانية والمجتمع العربي خصوصا حيث وفق الإنسان العربي حائرا إزاء هذه الظاهرة وعاجزا أمام إعصاره. ومن ثم كان على رجال التربية والتعليم من مفكرين وأصحاب قرار أن يقدموا لمجتمعهم تفسيرات شافية ويحدد كيفية تعامل نظامنا التربوي مع هذا الزخم من العلوم والتكنولوجيا وكيف يمكن لمجتمعاتنا ومنظوماتنا أن تظل تمتلك القدرة على التحكم في تدفق تلك المعلومات والأفكار والقيم.

وما هذه الورقة إلا محاولة للإجابة عن أسئلة كانت وما تزال مطروحة:

- ما هي مظاهر هذا الفيض المعلوماتي وتحديات ذلك الانفجار المعرفي؟

- كيف هو واقع التربية في بلادنا؟

- كيف السبيل لرسم نظام تربوي وفلسفة اجتماعية تربوية تأخذ بعين الاعتبار البعدين: الأصالة والعصرية.

أولا - مجتمع المعلومات وتحديات الفيض المعرفي:

في ظل العولمة وفي سياق التحولات المجتمعية بزغ شكل جديد للتطور المجتمعي يعتمد في نمط سيطرته ونفوذه على المعرفة العلمية المتقدمة وعلى استخدام المعلومات في جميع مجالات الحياة بكفاءة عالية فتعاضد فيه دور صناعة المعلومات وتعززت فيه الأنشطة المعرفية ليتبوأ الأماكن الأكثر حساسية وتأثيرا في منظومة الإنتاج الاجتماعي.

* التربية بمفهومها الواسع يشمل التعليم والتعلم وتنمية الشخصية وتأهيل الفرد من أجل تلبية مطالب مجتمعه

_____ أعمال الملتقى الدولي حول: العولمة والنظام التربوي في الجزائر وباقي الدول العربية

فبينما اعتمد المجتمع الصناعي في تطوره على التجارة والميكانيك والطاقة، بمختلف أنواعها، وعلى قوة العمل الإنساني والشركات العابرة للقارات، فإن مجتمع المعلومات استند بالأساس إلى قوة العقل البشري والإلكترونيات الرقمية والهندسة الحيوية وثورة الاتصالات والذكاء الصناعي دون إغفال بقاء واستمرار دور الشركات العابرة للقارات كأنظمة فاعلة في مختلف المجالات والقطاعات (1: 173).

إن هذه الثورة المعرفية التي عرفها ويعرفها العالم في مختلف مجالات العلم والمعرفة لم تنفصل عن الاختراعات والتطبيقات التي ساهمت في تغيير وجه العالم. فمع اختراع المطبعة والتي عدت الثورة الاتصالية الأولى ظل إنتاج أوروبا لا يتجاوز ألف عنوان سنويا في حين أصبح هذا الإنتاج حاليا أكثر من الألف يوميا أي أن التراكم المعرفي أصبح يتزايد بنسبة هندسية ويتضاعف كل 18 شهرا.

كما تشير الإحصائيات أن 90 % من العلماء الذين أنجبهم البشرية إلى الآن هم يعيشون بيننا اليوم ، وأن هذا العصر أنتج من العلوم التكنولوجيا والفنون والآداب واللغات والأيدولوجيات يعادل ما أنتجه الإنسان عبر تاريخه الطويل (1: 174) وأن ما زاد من فيض و تسارع المعرفة ذلك التلاحم بين التطور التكنولوجي والتقدم العلمي وأن ما أعطى الثورة المعرفية انتشارا تلك الثورات الاتصالية بدءا باختراع الطباعة مروراً باختراع الإذاعة والتلفزيون و الأقمار الصناعية وصولاً إلى الانترنت فإتجار بذلك البعدين الزماني والمكاني بين الحضارات والثقافات والأمم.

لكن ما ميز هذا الفيض المعلوماتي والانفجار المعرفي أن استفرد به العالم الغربي ففي تقرير التنمية البشرية لعام 1999 الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي يؤكد أن 10 دول غنية تسيطر على 84 % من أعمال البحث والتطوير العلمي، وتتحكم الولايات المتحدة بـ 95 % من براءة الاختراع العالمية خلال العشرين سنة الأخيرة من القرن الماضي (2: 48).

وفي مجال التأليف فإن الدول الأوروبية وأمريكا الشمالية تعد الأنشطة نشرا للكتب (أكثر من 65 % مما يصدر في العالم) (3: 3) وباختصار شديد هيمنة كلية على صناعة المعرفة والثقافة وسيطرة على أدوات ووسائل انتشارها.

ثانيا- منظومتنا التربوية في عصر المعلومات:

يشهد التاريخ قديما وحديثا على محورية التربية في صنع الإنسان وبناء المجتمع، وأن قيمة الإنسان هي حصاد معارفه. والحديث عن أهمية التربية ليس أخطر مما هو عليه الآن خاصة وأن البشرية تتجه نحو مجتمع المعلومات تتنازعها آمال والمخاوف وتعرضها تحديات جسام لا عهد لها بها من قبل، فقد ظلت التربية ملاذا ومهربا للكثير من الشعوب حين تنتابها المصائب والمحن والأحداث والوقائع التاريخية كثيرة في هذا الشأن.

_____ أ. رشيد زوز وأ.عبد الحميد لحر: الانفجار المعرفي كأحد تحديات النظام التربوي

وإذا كانت أزمة مجتمعنا العربي هي في جوهرها أزمة تربوية - كما تشير الكثير من الدراسات - فليس لنا سوى التربية مخرجاً لانتشال أمتنا في أزمتها الراهنة وهي سبيلنا إلى تنمية شاملة ودرعنا الواقعي ضد الاكتساح الثقافي في عصر العولمة والمعلومات.

لقد تعددت محاولات التشخيص ومعها وصفات العلاج واستنفد الخطاب التربوي جميع مفردات قاموس التعبير ولكن ظل الأمر على ما هو إصلاح تلو إصلاح ولا صلاح وذلك لأسباب عدة نذكر منها ما يلي:

- أن معظم محاولات الإصلاح التربوي تأتي من القمة أو من خارجها، وبالتالي فهي امتداد لنظم تربية منزوعة من سياقها الاجتماعي.

- المقاومة الداخلية التي تبديها المؤسسات التربوية الرسمية ضد التغيرات الجذرية ذات الطابع الراديكالي إضافة إلى الضغوطات الاجتماعية والقيود البيروقراطية.

- غياب فلسفة اجتماعية بنى عليها فلسفة تربوية واقعية.

- غياب الروح العلمية والذي ينعكس من مظاهر اجتماعية عديدة كانهدام الثقة في البحث العلمي وجدوى الحلول العلمية وعدم تقدير العلميين مع تفشي الانتهازية العلمية خاصة في حقل المعلومات.

- قتل الروح الابتكارية لدى النشء من خلال تثبيط هم المبتكرين والمبدعين تشبث بعضنا بأساليب الحفظ والتلقين.

- الازدحام الكبير في الأقسام.

- كثافة البرنامج.

تلکم بعض من مظاهر التخلف في مجتمعاتنا العربية استعرضناها ليس من قبيل اضطهاد الذات بل تحفيزاً لروح التحدي.

ثالثاً- توجهات التربية لعصر المعلومات

إن الفلسفة التربوية لا تنشأ من فراغ بل لابد أن تستند إلى فلسفة اجتماعية واضحة تنسم بالمرونة والتنوع. وفي هذا العصر المتميز بالتدفق المعرفي والذي ما تزال فيه التربية تفتقد إلى نظرية اجتماعية قادرة على تلبية مطالبه ومسايرة متغيراته، وبالرغم من ذلك فإنه يمكن معالجة غايات التربية وإدراج هذه المحاولة في سياق استشارة استراتيجية ممكنة التبنّي وفي حدود الامكانيات المتاحة ومن منظور مواجهة التغير المعلوماتي وتحديات الانفجار المعرفي.

وإذا كان تقرير اليونسكو (التعليم ذلك الكنز المكنون) قد صاغ غايات التربية على الوجه التالي: تعلم لتعرف. تعلم لتعمل. تعلم لتكون. تعلم لتشارك الآخرين. فإن هذه المداخلات سوف تسعى إلى استخلاص

_____ أعمال الملتقى الدولي حول: العولمة والنظام التربوي في الجزائر وباقي الدول العربية

رؤية جديدة تستفيد من تلك المبادئ الأساسية لليونسكو واضحة بعين الاعتبار المنظور المعلوماتي (4)
:307-321) وهذه الرؤية هي:

1. كيف تعرف لا ماذا تعرف، فمع الانفجار المعرفي أصبحت الأولوية التي تحصل بها على المعرفة وكيفية إتقان أدوات التعامل معها.
2. تراكم المعلومات أصبح لا يعني زيادة المعرفة.
3. تكامل المعرفة وإحداث اندماجات تكنولوجية وثقافية وبالتالي التخلص من نزعة التخصص الضيق.
4. مداومة اكتساب المعرفة وجعل علاقاتنا بما استمتعا لا سمعا وعشقا لا عبثا.
5. الصمود إزاء التعقد باستنفار عقل الإنسان وعدم الاستكانة والرضوخ.
6. تنمية المهارات الذهنية وذلك من خلال تخزين المفاهيم والكليات والعلاقات لا الأرقام والبيانات وتفصيل الجزئيات.
7. إضفاء الطابع الشخصي بأن نجعل المتعلم لا المعلم محور العملية التعليمية وتطوير البرامج والنظم بما يتلاءم مع المطالب الخاصة لكل متعلم.
8. تنمية ملكة الحكم على القضايا والأمور اتخاذ القرارات.
9. تنمية الشعور بالمسؤولية الفردية.
10. إنضاج الصغار وذلك بإتاحة استخدام تكنولوجية المعلومات لصغار السن وتقليص سلطة المدرس والتوسع في أساليب التعلم ذاتيا.
11. تنمية الإبداع والخيال.
12. التخلص من نزعات التعصب والعنف وتنمية مهارات الحوار مع الآخر والرغبة في مشاركة الآخرين.

الهوامش:

1. كريم أبو حلاوة، "الآثار الثقافية للعولمة"، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون بالكويت. العدد 3، 2001.
2. أنس حبيب، "استراتيجية التربية والتعليم على أعتاب القرن 21، واقع وآفاق"، مجلة المعرفة لوزارة الثقافة السورية، العدد 425.
3. ريجي مصطفى عليان ومحمد عبد الدبس: وسائل اتصال وتكنولوجيا التعليم.
4. نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت 2001